اصنع ما تريد . فبعد مدة شهرين ارسل المطران يدعوني فعند ما دخلت البلد رحت عند صاحبي رئيس ديوان الايمان وحكيت لهِ فقال لي : اذهب اليهِ وكلمهُ بكل ما في خاطرك . فرحت اليهِ وتكلمت معهُ فقال لي : لاي سبب ما تروح الى بلادك فقلت لهُ : اذا اردت الرواح الى بلادي لا مانع يقدر يمنعني والان ما لي نيَّـة ان اسافر من هاهنا . فقال لي : ان امرك والرخصـة الممنوحة لك لاربع سنين وها هي قد كملت . فقلت لهُ : نعم هكذا هو لكن انا ما اريد اسافر وافترق عن الوزير وانت اصنع ما تشا وتريد . فقال لي : لاي سبب تحب هذا الرجل وتحامي لهُ وانا ما تحبَّني مثلهُ . فقلت لهُ : نعم ان في بلادنا وعوائدنا يحامون عن الانسان الواقع ويساعدونهُ وتكمل وصايا الله الذي اوصانا قائلًا حب قريبك كنفسك . فانا احب الوزير واجبك واحب قريبي . ثم قام من كرسيهِ وجاء احتضنني قائلًا : الله يبارك عليك لانك ابن ناس اشراف ودمك وافعالك تشهـد عليك . فرجعت عند صاحبي رئيس ديوان الايمان وحكيت لهُ ما جرى ففرح وفرحت ايضاً امرأة الوزير وقالت : الله تعـالى يرحم والديك الذين خلفوك ويزيد اصلك

(لهُ بقيَّة)

شفا عمر

لجناب الاديب رفضلو محمد سليم افندي الاثري مدير شفا عمر سابقاً

شفا عمر ناحية ملحقة بلواء عكاء وهي بلدة عظيمة كانت في سالف الزمن تسمَّى شفرعم باللغة العبرانية وقيل كانت لرجل من كهنة اليهود اسمهُ شفرام وقد سكنها قوم من الموسويين وكان لهم مجلس خاص ينعقد فيهـا ويسمى عندهم مجلس السندريم الموسوي اي مجلس الشريعة وقد سُميت المدينة تسمية أخرى بلفظة كسترم او القلعة وعند كشف هذه الناحية وجد احد المؤرخين ان تأسيس هـذا البناء العظيم في زمن الظاهر وقال ان بناء هـذه السرايا لعلـهُ في زمن ولدهِ عثمان في سنة ١٧٦١ غربية ولمَّا قدم احد فضلاء بيروت في مهام حكومتهِ وكان اذ ذاك الوقت حاكماً فطاف الناحية وتفقد الآثار القديمـة التي اخرجت من محلات متعددة

فرأى ان في قصبة الناحية سراية عظيمة جداً وهي مؤسسة في زمن الحاكم عثمان سنة ١١٨٣ هجرية مع اربعة ابراج فالسراية في يومنا هذا متضعضعة الاركان ولم يبقَ فيها سوى اوطة واحدة ثابتة وتحت السراية اثنا عشر اخوراً يسع من جياد الخيل الف رأس والابراج على وشك الاندثار وهي دالة على دقة الصناعة والهندسة وقد رأيت على باب السراية الى جهة القبلي هذه الابيات المسطرة في ذلك العهد وهي هذه بحرفها:

قف بي على دار جما المسمى بجلب بالدرايه (؟)
دارت الباب جا اللي ثبت استوى والمود عاده (؟)
شادها عثمان ذي الاحسان من السادة (؟)
فانظر المنارة سهلا هذه دار السعاده (؟)

ولما طفتُ في قرى الناحية فدخلت احدى قراها المسماة قرية عبلين وفيها من بعض الاثار جامع من اهم المواقع جمالاً محكم الوضع بديع الصناعة مع نفاسة البناء وحسن المنظر لكنهُ في يومنا كالثوب الخلق البالي وما فيهِ سوى منارة باقية مع لوحة من المرمر على باب المسجد كُتب عليها هذا التاريخ:

قد بيت جامع بشرت به مؤذن الشاعر
انشاه يوسف مخلصاً والله اعلم بالسرائر
من آل زيدان الاولى شخت بصنعهم الدفائر
ارخ على التقوى تأسس والكمال جمال ظاهر

ويوجد في الناحية من جميل الاثار المهمة الثمينة نوع من البلور الصافي وعلى تداول الاوقات تجد هذا البلور لابساً اكليلاً من الذهب وفيها ايضاً مدافن كثيرة عليها آثار وكتابات يونانيَّة من عهد ملوك الروم البزنطيين الذين ملكوا في القرون السالفة وهناك ايضاً اربعون قرية واكثر وكلها مندرسة لم يبقَ من آثارها سوى نبع الماء وتاسيس قديم يدل على عمران تلك الديار هذا وان هواء الناحية لطيف جداً ومياهها متنوع الطعم وتجارتها آخذة بحسن التقدم والارتقاء وسكان القصبة نفسها اربعة آلاف نفس والاخلاق فيها تحتاج الى جوهرجي حاذق في علم المعادن لجلائها وتهذيبها واظهار جوهرها الاصلي والامل وطيد ان شفا عمر ستكتسب جمالاً ورواجاً مع عموم تلك البقاع وجوارها بتخطيط السكة الحجازيَّة التي خُطت على جبين الدهر اثراً حميداً وقربت مجالاً كان بعيداً ولهجت الالسن بالدعاء لحضرة ذي العزة والجلال بدوام صاحب

الشوكة على اريكة السلطنة السنيَّة مولانا الغازي السلطان الاعظم عبد الحميد خان الثاني ادام الله لوائه السامي

مُلحق

فوائد للاب انطون رباط اليسوعي

نثني على همة صاحب المقالة الاديب ذي الرفعة محمد سليم افندي الانسي مدير شفا عمر سابقًا ونشكر له تلطفه ورغبته في نشر بعض الآثار المتعلقة بشفا عمر سيما واننا لمَّا كنَّا قد زرنا هذه المدينة في السنة الماضية للتبشير والكرازة اتيح لنا فيها مقابلة حضرته فلقينا عندهُ من حسن المجاملة والصداقة ما لا تزال تتذكرهُ اطيب ذكر. وقد اغتنمنا فرصة زيارتنا لشفا عمر فجمعنا بعض المعلومات نضيفها هنا تتمَّة للفائدة

﴿ السفر الى شفا عمر ﴾ تبعد شفا عمر عن عكاء وحيفا نحوًا من ساعتين ونصف الى الثلاث ساعات على الراكب وهو لا يجد مشقة تذكر اللهمَّ ان لم يسر زمن الشتاء والامطار فان السهول الخصبة اذا غمرتها المياه وتجمعت في بعض مجاريها اصبحت غدرًا ومناقع تغوص فيها قدم الدابة في كل خطوة وهذه التربة ممتدة طولًا وعرضًا حتى حدود عكاء . واستثمارها يضمن لمستقبل البلاد خيرًا سيما اذا مدَّت يد المساعدة فأمن الزارع على زرعهِ وانتفع من سرعة المواصلات والتسهيلات الفنية الحديثة التي يجهلها تمامًا. وزد عليهِ انهُ كثيرًا ما يخشى جيرانه الهوشيين فيتقاعد عن العمل ولا شك ان تقدم حيفا ونجاز الخط الحديدي يعود بالنفع على الزراع المجاورين

فاذا سرت قليلًا ترأت لك شفا عمر على قمة مشرفة على الانحاء المجاورة وفي اعاليها السراية او القلعة البديعة المشهد كانها نسر يرفّ على وكرهِ لكنها الان كما قال حضرة الكاتب متضعضعة الاركان تكاد ان تكون خرابًا ولو رممت لأصبحت قلعة ودارًا بديعة للحكومة السنيَّة

﴿ بساتين شفا عمر ﴾ لا نزيد بذلك بساتين الزهور والاثمار لكن بساتين الزيتون المحيطة بشفا عمر من كل اطرافها والزيتون من اهم محاصيلها فاذا ما جاء زمن الحصاد انتشر السكَّان كبارًا وصغارًا نساء ورجالًا يقتنون الاسابيع الطويلة في جمعهِ

وتنقيته . ويؤخذ على الملّاكين انهم لا يسهرون على تجديد غرس ما هرم من زيتونهم ونخر السوس ساقهُ فاشرف على التلف وقد ينتهم عن ذلك على ما قيل صعوبة حفظ الغرس الناشيء الضئيل من عبث المارين وتلك القطعان به . وقد يكون لهذا التهاون اسباب أخرى اهمها تكاسل الانسان عن الاهتمام بما لا يأمل منهُ المنفعة القريبة فالزيتون لا بد لهُ من سنين لينمو ويثمر والانسان كثيرًا ما ينسى قول من قال: زرعوا فأكلنا زرعنا فأكلون

﴿ مياه شفا عمر ﴾ على مقربة من شفا عمر عين ماء طيبة منها يستقي السكان فترى صباح مساء النساء والبنات صادرات عن الماء وهنَّ يحملنَ جرارهنَّ على الرؤوس بلباقة ويتمايلنَ مع ثقلها متبخترات كما تفعل غيرهنَّ من سكان المدن اذا ما سرنَ مشدودات يجررنَ الذيول . وليس لشفا عمر خلا هذه العين ماء فاذا قلّت الايام الماطرة في الشتاء وطالت هاجرة الصيف نضبت العين او كادت كما حدث في السنة الماضية فأُلجئ السكان الى الذهاب سفر اربع او خمس ساعات ليأتوا بالماء وليس لهم الّا آبار قليلة العمق فيها تجتمع مياه الامطار لكنها لا تصلح للشرب لقلة ثمانها وهي لا تكاد تفي بحاجات المنازل والدواب والقطعان

﴿ سكان شفا عمر ﴾ كان العارفون منذ ٢٠ سنة يحسبون سكان شفا عمر بين ٢٥٠٠ الى ٣٠٠٠ امّا الآن فقد يبلغ عددهم نحوًا من ٤٠٠٠ وقد علمنا شفاهًا من حضرة صاحب المقالة انهم يُقسمون ثلاثة اقسام ثلث من المسيحيين وثلث من المسلمين وثلث من الدروز . والمسيحيون اكثرهم من طائفة الروم الكاثوليك وقليلون من طائفة اللاتين ولهم مدارس ناجحة وهم ذوو ايمان ثابت وسذاجة وتقوى . وللملكيين كنيسة جديدة بنوها بغيرة مذكورة وقد اخبرونا ان الشفاعمريات نساء وبنات كنَّ يذهبنَ يستقينَ الماء وياتينَ بها البنّائين اقتصادًا للمصاريف وشهادة لتقواهم بينما كان عدد من الرجال يشتغلون بالبناء في بعض الايام مجانًا لوجه الله . والفضل في تهذيب البنات لراهبات الناصرة الفاضلات اللواتي لا يزلنَ منذ اربعين سنة يخدمنَ هذا الشعب بحب وتفانٍ وغيرة لا تعرف الملل ولهنَّ مدرسة للصغيرات واخويتان تضم مجمل البنات والنساء فيجتمعنَ يوم الاحد للصلاة وسماع كلام الله وتهتم بهنَّ راهبة نشيطة كانت من سيدات بيروت المعروفات فهجرت كل شيء وتبعت يسوع لتخدمهُ

كلمةٍ لهُ ولخادماتهِ . وللراهبات ايضاً صيدلية مجانية او مستوصف يؤمُّهُ كل يوم عدد عظيم من المرضى واصحاب العاهات من كل الملل فيُعطون الادوية مجاناً ويعودون ولسانهم يثني ويبارك . والشفاعمريون رجالاً ونساءً يكرمون الراهبات وينقادون لمثلهنَّ وكلامهنَّ وقد رأيتُ امراً يطيب ذكرهُ هو ان البنات اردنَ ان يقدمنَ هدية للرئيسة يوم عيدها فذهبنَ جميعاً الى الاحراج وعوضاً عن ان يجمعنَ باقة زهور ذابلة احتطبت كل واحدة حملة من الحطب وجاءت بها مؤنة لعلمائها الفقيرات

﴿ اسم شفا عمر ﴾ وبعد هذا الوصف لمشاهد شفا عمر يجدر بنا ان نضيف الى ما تقدَّم بعض فوائد علمية عن اسم المدينة وتاريخها وآثارها . هي مدينة او قرية عريقة في القدم لم يأتِ ذكرها في الكتب المنزلة واوَّل من ذكرها اصحاب التلمود البابلي في القرن الرابع او الخامس في اخبارهم عن تنقُّلات المجمع الاسرائيلي بعد خراب اورشليم من القدس الشريف . فاقام قبل انتقاله الى طبريَّة في بعض القرى منها شفرعم שפרעם كما رأيت ولم تعرف عند الكتبة الى القرن الثامن عشر بغير هذا الاسم وهي كلمة من שפר سفر او كتاب و עם الشعب فيكون معناها سفر الشعب

وذهب البعض — ولا ندري على اي شيءٍ يبنون زعمهم — ان معنى شفرعم المكان المرتفع الذي منهُ يمتدّ النظر الى البعد فاذا صح هذا التأويل وافق الاسم المسمى فانك اذا ما نظرت من اعالي البلدة شاهدت مشهداً بديعاً تحدّه سلسلة الكرمل ويمتد الى حيفا وعكا ومسافة شاسعة من سهول الجليل وقراه وخرائبه . قال صاحب كتاب مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع : شَفْرَعَمْ بفتح اوله وسكون ثانيه وفتح الراء ثم عين مهملة مفتوحة وميم مشددة قرية كبيرة بينها وبين عكا لساحل الشام قرب ثلاثة اميال (١ وقد جاء ذكرها مراراً في اخبار الصليبيين فسماها كتابهم (Safran) وهو تصحيف او نقل اسمها المعروف شَفْرَعَمْ (Chefaram =Sefaram=Safram) ولم يعرفها الرحالون بغير هذا الاسم وظن المحدثين حرفوا الاسم لغرابتهِ فنقلوهُ الى لفظ ومعنى عربي فقالوا

١) صفحة ١١٧ من طبعة (Juynboll) في ليدن (Leide) سنة 1853

شفا عمر فقام الاسم الجديد المحرف مقام الاسم الاصلي . وقد اشتهرت في الازمنة المتوسطة خمرة شفا عمر ولا ندري هل حفظت شهرتها القديمة

﴿ آثار قديمة ﴾ دعانا حضرة الاب الجليل الخوري انطون بحوث احد كهنة الروم الكاثوليك الى زيارة مدافن شفا عمر فسرنا برفقته غير بعيد عن البلد في منحدر قلّة وشاهدنا مدافن قديمة محفورة بالصخر واخذنا وصفها لكن حضرة الاب ميشال جوليان اليسوعي كان قد سبقنا الى زيارتها ونقل ما فيها من الصور والكتابة وكانت عند فتحها لاول مرة تحتوي عظاماً وآثاراً قديمة اما الان فقد ملأتها المياه الموحلة . ومدخلها يمثل شمساً وحيوانات وطيوراً واثماراً وفي الوسط على باب المدخل ترى صليباً مع الاحرف اليونانية AΩ تلميحاً لقول المسيح انا الالف والياء البداءة والنهاية الاول والآخر (رويا ٢٢ : ١٣) وذلك يشهد انهُ اثرٌ مسيحي

ومن الاثار الخطية نص قرأهُ حضرة الاب جوليان اليسوعي كما يلي:

KEXPE KAIEAE
BOHΘΙΣΑΜ HKONME
(ΩN) TEKNΩN

ومعناها على رأيه : ايها السيد المسيح ساعد ساء [ويل] وارحم اولادي

واذا سرت على مسافة رأيت اثراً آخر محفوراً على الصخر باحرف ضخمة لا يزال العارفون يتباحثون في حقيقة معناه

فارتأى الاب فان كستن العلامة اليسوعي انهُ علامة الحدود السبتية اي التي لا يجوز لليهودي ان يتعداها في السبت فقرأ TΓΟΥΜ ΑΣΒΑΤ او بالحرف العبراني תחום השבת تخوم السبت او حدودهُ ولم يوافقهُ كارمون غانو (Archæological Researches in Palestine, T. II, 237) ولا الاب جمر دوران (Revue Biblique 1895 p. 72) لانهُ رأى صليباً محفوراً على اعلى المكان وذهب ان الكتابة يونانية اللفظ والمعنى فقرأ

CAB ΗΓΟΥ
ΜΑ ... ΡC ΒΑΝ

واولّها (Σάββας ἡγούμενος Λαύρας Βάν) اي سابا رئيس دير بان (وبان اسم دير)

هذا ما نعرفهُ عن شفا عمر ذكرناه بالايجاز تتمة لما سبق في مقالة الكاتب الاديب